الفصل الرابع

الميدان النحوي

المبحث الأول: الجملة الخبريَّة والإنشائيِّة في لهجة الحَمَر.

إنَّ الجملة في اللُّغة العربيَّة تبنى من "الوظائف" التي تقوم بها أنواع الكلام[١].

وبنية الجملة العربيَّة تقوم على وظيفتين هما الدُّعامة الأساسيّة في الجملة وقد سماها سيبويه المسند والمسند إليه وعرفهما بأنهما "ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بداً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه". ويطلق سيبويه على الخبر "المبني عليه"[٢]. والإسناد يكون بين المبتدأ والخبر والفعل والفاعل، وينظر النحاة إلى المسند والمسند إليه على أنَّهما عماد الجملة، ولذا أطلقوا عليهما مصطلح "العمد" إذ أنَّ الجملة العربيَّة تنعقد من هذين العنصرين الأساسيين وما سواهما في الجملة من التوابع تسمى "الفضلة"[٣]. يقول الأشموني: "المراد بالفضلة ما يستغنى عنه من حيث هو هو. وقد يجب ذكره لعارض كونه ساداً مسد عمدة كضربي العبد مسيئاً"[٤].

ومما لا أغفله أثناء البحث الفرق الذي يلاحظ بين الحدث اللّغويِّ والنِّظام النَّحويِّ، ذلك النَّظام الذي يتم أقل قدر من الكلام فيه بعنصري الجملة. أمَّا الحدث اللَغويّ– وهو المجال الذي ينطلق منه النِّظام النِّحويّ– فإنَّه يهتم ببعض الفضلات بحيث تكون في بعض الأحيان هي الغاية والقصد[٥]، مثل قوله تعالى: **(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)**[٦] وإذا حذفت الحال اختلَّت الجملة أيما اختلال في معناها رغم اكتمال العناصر الأصليَّة في الجملة من الفعل والفاعل. وقد زاد فيها عنصر غير مؤسس آخر وهو المفعول به.

وقد صُنِفت الجُمل في اللُّغة العربيَّة على فكرة الإسناد إلى نوعين رئيسيين هما: الجملة الاسميَّة والجملة الفعليَّة. وقد تكون الجملة قصيرة أو بسيطة – وقد تطول بعناصرها غير المؤسسة أو من خلال عناصرها المؤسسة نفسها. وقد يكون التقييد سبباً في الإطالة خاصة

---

[١] د. محمد حماسة عبد اللطيف (١٩٨٢م): في بناء الجملة العربيَّة، ط١، دار القلم، الكويت، ص٤٣.

[٢] الكتاب: لسيبويه، ج١، مرجع سابق، ص٢٣.

[٣] في بناء الجملة العربيَّة، مرجع سابق، ص٤٤.

[٤] شرح الأشموني، مرجع سابق، ج١، ص٥٢٦.

[٥] في بناء الجملة العربيَّة، مرجع سابق ص٤٤.

[٦] سورة الأنبياء، الآية (١٦).

في الأفعال والأسماء المشتقة التي تتضمن الحدث الفعليّ وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل. والفعل يستطيل عن طريق المقيدات وهي ما يسميه النَّحويون "المعمولات"، فتفيد زمان حدوث الفعل وظروفه وعلة حدوثه وبيان مصاحبته وتوكيده وما يتعلق به من حروف الجر[١].

ومما يطيل الجملة تقييد التبعيَّة كتبعية التوكيد وتبعية البدل وتبعية العطف وتبعية النعت. وكفل النظام اللّغويَّ لعدد من الوظائف النَّحويَّة أنْ يتعدد في الجملة الواحدة كالمفعول به والنَّعت[٢]، ومثال ذلك قوله تعالى: (**عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**)[٣]، وبناء الجملة العربيَّة تعرض له عوارض مختلفة تحوله من معنى إلى آخر مع المحافظة على البنية الأساسية كالتقديم والتأخير في مكوناتها والحذف والنفي والاستفهام، وتركيب الجملة في هذه الحال ليس فيه إضافة لعنصر جديد لم يكن موجوداً من قبل، ولكن القصد إفادة معنى لا يفهم من غير تلك الصياغة.

وخلاصة القول أن البسط الذي طرحته مرتكز أعوَّل عليه كثيراً في بحث بنية الجملة المحوريَّة وما يتعلق بها في لهجة الحَمَر – متناولاً إياها وفقاً لما تفيده من مفاهيم الخبر والإنشاء.

من أنماط الجُمل الاسميَّة ذات الإفادة الخبريَّة في لهجة الحَمَر قولهم: (البهايم راتعات، والبهايم كَلَنْ الزَّرع). ففي الجملة الأولى نلاحظ أنَّ المسند مفرد "راتعات" والكلمة ذات مدلول بليغ وقد ورد معناها في قوله تعالى:

(**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)[٤].

أمّا في الجملة الثانية فالمسند هو جملة "كَلَنْ الزَّرع" الفعلية بحذف همزة القطع لديهم في الفعل أكَلَ. وكلمة الزَّرع ينطقونها صحيحة على الوجه الذي نراه دون أدنى إمالة في عينها كما يفعل الكثير من ناطقي العاميَّة، وتفتقد لهجة الحَمَر حركات الضبط الإعرابي في آخر الكلمة كغيرها من اللّهجات العربيَّة العاميَّة.

---

[١] في بناء الجملة العربيَّة، مرجع سابق، ص٧٦.

[٢] المرجع السابق، ص٧٦.

[٣] سورة التحريم، الآية (٥).

[٤] سورة يوسف، الآية (١٢).

ومن نماذج الجُمل الخبريَّة التي يتألف الإخبار فيها بجملة اسميَّة في لهجة الحَمَر ما قاله لي أحدهم عن تجاربه في فلاة موحشة يصف "السِّمْع" وهو سبع ضَارٍ "السَّمع –جرْمَه– جرم كَلْب"، وبالرغم من اللّحن في الجملة الخبريَّة "جرمَه – جرم كَلْب"[١] إلا أننا نلاحظ النُّطق الفصيح لدى الحَمَر لكلمة "كَلْب" بسكون العين خلافاً لكثير من أهل السّودان، إذ ينطقونها "كَلِب" بكسر اللام وحينئذٍ يختل المعنى لأن الكلمة بهذه الهيئة تعني في اللغة من أصابه داء السُّعار وجمعه كَلِبون وكَلْبى كجرحى ومرضى[٢]. وكذلك يرد المسند في لهجة الحَمَر أيضاً –في الجملة الخبريّة– شبه جملة ظرفاً كترتُّم أحد حداة الحَمَرمفتخراً بالقِرى:

مِن صيحة الصقير شَقة السَّرحان
زادنا الكتير حَدَا الضِّيفان
دخناً مَلبّك بالسّمِن تريان
قدحاً بلبن أم حنين مليان[٣]

فالراجز يرسم صورة لانبلاج الفجر، فالصقير يطلق صياحه المتقطع إيذاناً بتنفس الصّبح، وعندما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، يشق السّرحان وهو الذئب طريقه إلى مخبئه في غياهب اليفاع وأحراش الآكام، وصار وقت أوبته، يفيد الظرفيَة الزمانيَة في مفهوم أولئك البداة. وفي هذا الوقت يكون ذلك البدويّ الحَمَريّ قد أعدَّ طعامه لضيوفه ونزلائه لأنَّهم يشرعون في السّفر من وقت مبكر، وأيضاً ينهض هو لرعي القطيع في الغداة ويصف وجبته الشهية بأنها طُهِيت من غلة الدخن الذي ضُمَّخ بالسمن وقد وُضِع إزاءه قدح مترع بلبن الجزور. والشاهد في الأبيات السابقة كلمة "حَدَا" مسند للمبتدأ "زادنا" وهي ظرف مكان وأصلها في اللّغة "حِذاء" والحِذاء هو الموازاة، والحِذاء هو الإزاء ويقال جلس حِذاءه أو بحِذائه أي قبالته[٤].

---

[١] مقابلة: حسن أحمد أبو زيد، النهود، ٢٠٠٦/٥/١٠م.

[٢] الهادي إلى لغة العرب، ج٤، مرجع سابق، ص٥٣. مادة "كَلَب".

[٣] مقابلة: دوليب محمود – قرية عيال بخيت.٢٠٠٦/٨/١٢م.

[٤] الصحاح: للجوهري، مرجع سابق، ج٦، ص٢٣١١، مادة "حذا".

وقد يأتي المسند شبه جملة جاراً ومجرور كما في العبارة التي يرددها الحَمَر عند العَزاء "البركة في العويلة" أي يدعون بالسّداد والتوفيق لأنجال الفقيد ليكونوا خير خلف له. والجملة السابقة خبرية لفظاً لكنّها إنشائيّة معنىَ لأنَّها طلبيّة دعائيَة. وكثيراً ما ترد كلمة "عويله" –بإمالة صغرى– على ألسنة الحَمَر ويعنون بها الأبناء. والكلمة أصلها تصغير لعائلة، ويأتي شبه الجملة جاراً ومجروراً في حديث الحَمَر في الجُمل الخبريّة المنفيّة.

وكما أسلفت، فقد يأتي المسند شبه جملة منفياً. والنفي من العوارض التي تعرض لبناء الجملة فتفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة الفعليّة والاسميّة على السواء، فالنفي في حقيقته يتجه إلى المسند، وأمّا المسند إليه، فلا ينفى، ولذلك يمكن في الجملة الاسميّة أن يتصدر النّفي فيدخل على المبتدأ والخبر معاً، ويمكن أنْ يتصدر الخبر فحسب بوصفه المسند، وذلك إذا كان الخبر جملة أو شبه جملة[١].

وصيغ الجُمل على هذا النَّسق كثيرة في لهجة الحَمَر، من ذلك ردّ أحدهم عندما يُسأل رفداً "لا في التراب ولا في الجراب". وقد حوى القرآن الكريم هذا الضّرب من الأساليب اللّغويّة، فقد جاء في سورة الصّافات وصف شراب أهل الجَنَّة، في قوله تعالى: **(لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ)**[٢] أي ليس كخمر الدّنيا التي تُذهِب النُّهى فتطيش. يقول الزَّمخشريّ "الغول" هو الهلاك، ويقول القرطبيّ "الغول" مراد به اغتيال العقول. وفيما أرى أنَّ الأوربيين، اقترضوا الكلمة من العَرب عندما كانوا في أوج الحضارة فصارت كلمة (Alcohol) اسماً للمادة المسكرة المهلكة.

وفي الجملة التي سبقت الآية يُعبِّرالحَمَريّ عن فصاحته بأنه لا يملك شروى نقير ولا يقتني القليل سواء أكان مكنوزاً مخبوءاً في الثرى أو محفوظاً في هميانه. وهكذا تسلّط النفي على العنصر الإسنادي.

وتأتي الجملة الاسميّة الكبرى مثبتة "دون أنْ يتصدرها نفي"، وقد يكون خبرها جملة فعلية منفية نحو قوله تعالى: **(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**[٣]. والجملة الاسميّة، تقبل النفي دائماً، ولا

---

[١] في بناء الجملة العربيَّة، مرجع سابق، ص٣١٧.

[٢] سورة الصَّافات، الآية (٤٧).

[٣] سورة الصف، الآية (٧).

تقبل الجملة الفعليّة النفي إلا إذا كان الفعل ماضياً أو مضارعاً. أمّا إذا كان فعلها أمراً، فلا ينفى مطلقاً وإذا أريد طلب عدم الفعل، عُبِّر عنه بالنهي، مثل قوله تعالى: **(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ)**[١]. وهذا الضّرب من الجُمل يصاغ على نسق فصيح عند الحَمَر وكثير من سكان البادية في السُّودان، إذ يقولون على سبيل المثال: "لا تلعبوا بالنار يا عيال"، بجزم الفعل المضارع بحذف النون نيابة عن السكون. وقد لاحظت إبّان حلولي في جزيرة العرب، أنَّ أهلها في الخطاب الشّفهي لا يلتزمون هذا الحذف الواجب للنون، بل يقولون مثلاً: "لا تلعبون بالنار يا عيال".

والاستفهام من الأساليب الإنشائيّة التي كثيراً ما تمليها الضرورة في لغة التّخاطب والحوار بين الناس[٢]، ومن أدوات الاستفهام التي يستخدمها الحَمَر "كيف" للسؤال عن الحال وينطقونها بأمالة صغرى كعامة أهل السُّودان. وترد (كيف) لدى الحَمَر أيضاً في الاستفهام الذي يُقصد به التعجب، كقول القائل منهم متعجباً لمن يخطئ الاختيار والمفاضلة في بهض الأشياء: "كيف ترعى السّفير وتخلّي الخضير؟!"، والخضير هنا صفة مشبهة لكل نبت زاهٍ شديد الخضرة[٣]، والسّفير هو ما تساقط من ورق الشجر[٤]، ويطلق أيضاً على شوك سنابل القمح[٥]. ومن هنا تستبين لنا رصانة أسلوب المقابلة الذي نسجه الحَمَري في العبارة السابقة. ونظير ذلك نجده في قوله تعالى: **(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ)**[٦]، والخطاب هنا لأهل الكتاب. ويقول القرطبيّ: لأنهم لم يثبتوا أمر محمد عليه السلام، ولم يصدقوه فيما جاء به، ولم يقروا بالقرآن، وهذا توبيخ يتضمن التّعجب[٧]. وأورد الزَّمخشريّ أنَّ "كيف" إنكار وتعجُّب، مثل قولنا: أتطير بغير جناح؟! إنكاراً للطيران لأنَّه مستحيل[٨].

---

[١] سورة الإسراء، الآية (٣١).

[٢] النحو الوافي، مرجع سابق، ج٣، ص٣٤٠.

[٣] الهادي إلى لغة العرب، مرجع سابق، ج١، ص٦٣٤. مادة "سفر".

[٤] المرجع السابق، ج١، ص٣٥٣.

[٥] المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٤٣٣.

[٦] سورة البقرة، الآية (٢٨).

[٧] الجامع لأحكام القرآن، ج١، مرجع سابق، ص٢٦٧.

[٨] الشاف: الزمخشري، ج١، مرجع سابق، ص٢٦٩.

ومن أسماء الاستفهام التي تَحوَّر نطقها عند الحَمَر "متى" التي تفيد الدّلالة على الزَّمان، إذ ينطقونها "بَتين" ويطابق حشو الكلمة المقطع النّطقي لكلمة (day) الإنجليزية. وأداة الاستفهام للسؤال عن العاقل "مَنْ" قد طالها التطور في كثير من اللّهجات العربيّة الحديثة عدا بلاد الحجاز ونجد واليمن والخليج العربيّ، ولكن في اللّهجة المصريّة ولهجة أم درمان وجُلّ حضر السُّودان تنطق "مين"، لكن في لهجة الحَمَر وكثير من أهل الريف والبادية صارت "مِنو"، والنطق على هذا النّسق يجانس ما أُثِر من العرب. من أساليب "الحكاية"، وهي إيراد لفظ المتكلم على حسب ما أورده[١]. والمحكيُّ ثلاثة أنواع: جُملة ومفرد وحال المفرد[٢]. ويُنسب إلى أهل الحجاز أنَّهم يحكون الاسم العلم بـ (من)، فيقولون فيمن قال: رأيت زيداً: مَنْ زيد. ولِمَنْ قال: مررت بزيدٍ: مَنْ زيدٍ[٣]. أمّا تميم فلا تحكي وتعربه خبراً[٤].

ولكن حكاية النّكرة بخلاف العَلَم، إذ توضح ما استدللت به، فالعَلَم يعاد ذكره بعد (مَنْ)، أمّا النَّكرة فلا يعاد ذكرها، ولكن يُضاف إلى (مَنْ) حرف مد من جنس حركة إعراب الاسم المحكيّ إنْ كان مفرداً، وإنْ كان مثنى أو جمعاً أو مؤنثاً لحقته علامات التَّثنية والجمع والتأنيث[٥]، فيقال لمن قال: رأيت رجلاً؟ مَنا، وإنْ قال: جاء رجلٌ، يقابله: مَنُو، وإنْ قال: جاء رجلان، يقال له: منان، وإنْ قال: جاءتني نساء أو مررت بنساء، فالجواب: مناتْ، وإنْ قال جاءتني امرأتان، فالجواب: منتان، وإنْ قال: مررت برجال، يقال له: منين، وإن قال: جاء رجال، فالجواب: منون[٦]. والبيت المشهور في ذلك:

أتوا ناري، فقلت منون أنتم فقالوا: الجنَّ، قلتُ عِموا ظلاماً[٧]

والحكاية ليست لأهل الحجاز كلهم بل لغة بعضهم. وقال الأخفش: إنَّ من العرب مَنْ يحكي الاسم مطلقاً اسماً كان أو صفة أو ما كان[٨].

وأود أنْ أعرض في هذا البحث إلى أسماء الكناية، والتي هي ألفاظ مبهمة يكنى بها عن عدد مبهم أو حديث أو فعل. وأكثرها أستعمالاً في لهجة الحَمَر واللّهجات العربيَّة السُّودانيّة عموماً،

---

[١] ارتشاف الضرب، ج١، ص٣١٩.

[٣] لغة قريش، مرجع سابق، ص٢٣٨.

[٤] الكتاب، مرجع سابق ج٢، ص٤١٣.

[٥] لهجة قريش، مرجع سابق، ص٢٣٨.

[٦] المرجع نفسه. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (١٩٧٩م): المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، ط٢، ج٢، القاهرة، ص٣٠٦.

[٧] لهجة قريش، مرجع سابق، ص٢٣٩.

[٨] المرجع السابق نفسه، ص٢٣٩.

كم الاستفهاميّة، وكم الخبريّة، ومنها أيضاً كأينٍ وكذا وكيت وذيت وفلان وفلانة[٩]. وكم تأتي أداة استفهام مبهمة عند سامعها، يُسأل بها عن معدود، مجهول الجنس والكميّة معاً وتحتاج إلى جواب. وكم تأتي أيضاً في السِّياق أداة إخبار عن معدود كثير ولكنه مجهول الجنس والكميّة ولا تحتاج إلى جواب، وكلاهما يلازم البناء على السكون مع الصدارة في الجُملة[١]. وممّا ورد في لهجة الحَمَر لاستخدام "كم" الخبريّة ما رواه عوض جديد:

كم مره ودوني حكيم الدار
دايماً يطعني لَي أبَّار
ما جابن في راسي خَبار
ودوني ست الظار
تنحنحتْ، تلفّحت بالشّال
طَلَقتْ بخور في النار
تحكّرت، تغيّرت في الحال
وقالت خلاص الولد عقيلو إنشال[٢]

فالشاعر يحكي عن كثرة تردده على الآسي الذي لم يهتدِ إلى العلّة التي برت بدنه واحتمله ذووه إلى العرافة التي فطنت إلى مكمن الداء. وورد الاستعمال عينه لـ(كم) الخبريّة في اللّهجات العربيّة النيليّة في السُّودان فيما رواه العلاّمة اللّغويّ الدكتور عون الشريف عن الشاعر قدوره:

كم حتحتْ دقون بِقْيت علايق صوف
وكم قطَّع رقاب خلّى الشعر كليوف

فالشاعر يثني على إقدام الممدوح وشجاعته، والمراد بـ(كليوف) الرأس الخالي من الشعر.

واللّهجات السُّودانيّة العربيَّة تخلو من الضبط الإعرابي لأواخر الكلمات إلا لماماً، إلا أنَّ (كم) ينطقونها ساكنة كعادتهم في نطق أغلب كلمات اللّغة، وبنظرة فاحصة في تراكيب العاميّة السُّودانيّة يمكن أنْ تطبَّق الضوابط التي وضعها النحاة لـ(كمْ) بنوعيها. فإذا وقعت (كم) على زمان أو مكان فهي ظرف مبنيّة على السّكون في محل نصب[٣]، ومثال لذلك ما سمعته من

---

[٩] الكامل، المرجع السابق، ص٢٥٣.

[١] شرح ابن عقيل، مرجع سابق، ج٤، ص٨٢-٨٣.

[٢] مقالة: عوض جديد، النهود، ٢٠٠٧/٩/٨م.

[٣] التّبصرة والتذكرة، مرجع سابق، ج١، ص٣٢١.

تحاور لامرأة تساوم أخرى في سوق ريفيّ بمناطق الحَمَر، قائلة: (كم باع طول طرقتك)[١]، والصواب أن تقول (كم باعاً)، والعبارة فصيحة من حيث الصياغة، فالباع مقياس معروف وهو قدر مدِّ اليدين[٢]، والطّرقة جديلة من سعف النخيل وتُرتق مع نظائرها ليؤلف منها بساط شعبي يسمى (البِرِش). وأبان صاحب القاموس المحيط أنَّ الطّرقة هي كل نسيج من صوف أو شعر أو نحوها[٣]. وإن وقعت (كمْ) على معنى مجرد، أي حدث، فهي في موضع نصب على المفعوليّة المطلقة وتلازم البناء على السكون. ونلمس ذلك في الأحاديث التي تدور في ألسنة أهل كردفان، فمن المعتاد أنْ يقول الرجل لرفيقه في بادية الحَمَر: كم رقعة رقعت الشَّكوة؟، والشَّكوة هي وعاء من أدم يُبرّد فيه الماء ويحُبس فيه اللّبن، وجمعها شِكاء وشكوات وشُكى. قال ثعلب: تشكّت النساء، أي اتخذنّ الشِّكاء لمخض اللّبن[٤]، وذلك في رأيي دلالة على الخَصُب المُغْدِغ.

وتستخدم (كم) كثيراً في عامياتنا العربيّة السُّودانيّة مسبوقة بحرف الجر، وهي على هذه الشاكلة تكون مبنية على السكون في محل جر، كقولنا لمَنْ يحطُّ عصا الترحال للتو من مكان ناءٍ (في كم يوم جيت) أي جئت. والحَمَر وغيرهم يحذفون أحياناً تمييز (كمْ) الاستفهامية، نحو قولهم: (كمْ في الزريبة) –أي الحظيرة– والتقدير كم نعجة، لأن ذلك مفهوم من السِّياق. والحذف يصح في كل الأحوال إذا دلَّ عليه دليل ولم يترتب عليه لبس، ومن المعلوم أنَّ (كمْ) إذا وقعت على ذات، وكان الفعل بعده متعدياً، لواحد أو أكثر ولم يستوفِ مفعوله فهي مفعول به مبنية على السكون في محل نصب[٥] نحو: كم قرشاً بذلت للسائل المعتف؟، وفي ما عدا الذي ذكرته تكون (كمْ) مبتدأ –غالباً– مبنية على السكون في محل رفع[٦]، وقد رَويت وجوه الإعراب لتمييز (كمْ) بالنصب والرفع والجر في البيت الشهير للفرزدق في قدْح جرير بن عطية:

كمْ عَمَّة لك يا جرير وخالة فدعاءُ قد حلبت علىَّ عشاري[٧]

---

[١] سوق قرية الدودية، ٨ مارس ٢٠٠٥م.

[٢] الصحاح: للجوهري، مرجع سابق، ١١٨٨/٣. مادة "بيع".

[٣] القاموس المحيط، مرجع سابق، ٢٥٧/٣. مادة "طرق".

[٤] لسان العرب، مرجع سابق، ١٢٣/٨.

[٥] النحو الوافي، مرجع سابق، ٥٧١/٤.

[٦] المرجع السابق، ٥٧١/٤.

[٧] التبصرة والتذكرة، مرجع سابق، ٣٢٢/١. المقتضب، مرجع سابق، ٥٨/٣.

وقد يكون بناء الجملة الاستفهامية في لهجة الحَمَر خالياً من الأداة تماماً سواء أكانت اسميّة أم حرفيّة. وفي هذه الحالة يكون الاعتماد على (نغمة) الجملة، أو بعض العلامات اللّغويّة التي تصاحب تلك الأداة التي لم تذكر في الجملة مثل (ما) النافية التي تتصدرها همزة الاستفهام في قولهم: ما لقيته؟ والتقدير: أما لقيته؟. والجدير بالذِّكر أنَّ التنغيم أو النَّبر عندما يدخل على التّركيب اللّغوي يحيله من الخبر إلى الإنشاء كاستفسارنا في العاميّة عن هطل الدّيم: المطر غزير؟.

ومن حروف الجواب الشائعة في تخاطب الحَمَر (أيّا) وأصلها في اللّغة (إي) وهي حرف جواب كنعم وجير وأجل وإنْ التي بمعنى أجل أيضاً، فإذا قيل: قد أتاك محمد؟ فالجواب: إنهْ، أي أجل، والهاء للسكت، ولحقتها في الوقف، وليست الهاء ضميراً إذ تسقط وصلاً، فيقال: إنْ يا فتى، أمّا (إي) فلا تستعمل إلا في القسم، تقول لمن قال: (أسافر عليٌّ) إي والله، إي وربّي، إي لعمري[١]. وقد ورد ما يطابق هذا الأسلوب في المعنى في الذكر الحكيم في قوله تعالى: **(قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ)**[٢]. إلا أنَّ الحَمَر لا يلتزمون إيلاء القسم لحرف الجواب (أيّا)، والتي هي في جوهرها (إي).

ويستخدم الحَمَر (نَعم) على قلة، وهي من الصِّيغ التي تفيد التّصديق والإيجاب، إذ تفيد في الجواب الوعد إذا وقعت بعد الطلب، والتّصديق إذا وقعت بعد الخبر، نفياً كان أو إيجاباً، إلا أنَّ هنالك اختلافاً في نطقها أحياناً[٣]، ويأتي على ثلاث صور: بفتح العين، وبكسرها، وبقلب العين حاء[٤]. والفتح أشهر اللّغات، وهو الشائع في لهجة الحَمَر ولهجات السّودان العربيّة. وذكر الكسائي أنَّ الكسر هو لغة أشياخ قريش[٥]. وأورد أبوعمرو بن العلاء بأنَّه نُطق كنانة، ويقرر ابن يعيش بأنَّه ورد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الصّحابة[٦].

---

[١] شرح المفصل، مرجع سابق، ج٨، ص١٢٣.

[٢] سورة التغابن، الآية (٧).

[٣] شرح المفصل، ج٨، ص١٢١.

[٤] الظواهر اللغويّة في التراث النحويّ، ج١، مرجع سابق، ص١٧٧.

[٥] المرجع السابق، ص٣٤٥.

[٦] شرح المفصل، مرجع سابق، ١٢٥/٨.

أمّا الصّورة الصّوتيّة الثالثة –وهي قلب العين حاء– فهي في نظري نوع من التطور الصوتي عند بعض القبائل التي أصابت قدراً من التحضر فمالت إلى استخدام الأصوات المهموسة فاختارت الحاء وهي المقابل المهموس للعين.

وثمة أسلوب لغويّ آخر شائع في لهجة الحَمَر ولهجات السّودان العربيّة وهو التنبيه. والهدف من استخدام أسلوب التنبيه هو لفت نظر المخاطب لتركيز انتباهه فيما يلي صيغ التّنبيه من مضمون، أي القصد من هذه الصِّيغ استثارة اهتمام السامع بمحتوى الجُمل التي تليها[١]. والصِّيغ التي تفيد الاهتمام بالمضمون فحسب ثلاثة : هي (ها) و(ألا) و(أما)[٢]. وقد تصدرت (ها) التنبيه اسم الإشارة في قول لبيد العامري:

نحن اقتسمنا المال قسمين بيننا فقلت لهم هذا لها ها وذا ليا[٣]

ومما ورد في لهجة الحَمَر من هذا القبيل ما أنشده أحد شعراء الحَمَر[٤]:

سارح في فلاة الصَّي
نسمع عِصيراً حِس جِدَي
مَرَقْ وسايل بَيْ
عيونَه مِحْور كَيْ
السِّبلة ها خَيْ
نملا قرّاب الرَيْ

فهذا الشاب يرعى سوائمه في الخلاء عصراً وترامى إلى سمعه صوت فتاة تُسلِّي نفسها بالغناء أثناء سيرها وتحركها كعادة أهل البادية هناك، فلما بانت إزاءه، حيّته وراعه محياها البهي، وشبهها بالرئم، وتركت لِحاظها الآسرة في وجدانه آثاراً كجراح المحور الذي تكوى به البهائم، و(سايل بَيْ) بمعنى سأل عنّي وسَّلَم عليّ. فسايل هذه عزاها بعض اللّغويين إلى قريش إذ أنها تبدل الهمزة في (سأل) ألِفاً خالصة فتجعلها (سال) كخاف، وقال آخرون هذه لغة هذيل[٥]، و(السِّبلة) هي السبب أو الحيلة التي تذرّع بها لمحادثة وملاطفة هذه الفتاة، وهي أن يعينها في

---

[١] أبو المكارم، علي، الظواهر اللّغويّة في التراث النحويّ، طبعة ١٩٦٨م، الدار الحديثة للطباعة، القاهرة، ص٢٤٠.

[٢] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: الأشباه والنظائر، ط٢، دار الكتب، بيروت، ٢٤٢/١-٢٤٣.

[٣] لبيد، ديوان لبيد، تحقيق إحسان عباس، مطبعة الكويت، ص٥٩،

[٤] مقابلة: الشاعر دوليب محمود – قرية عيال بخيت. ٢٠٠٧/٨/٦م.

[٥] لغة قريش، مجع سابق، ص٦٧.

ملأ أسقيتها بماء الغدير. والشاهد في أبيات الحَمَريّ السابقة وهو عبارة (ها خَيْ)، وكلمة (خَيْ) أصلها أُخَي مُصغَّر (أخ) ولكن حذفت همزتها كما هو معتاد في لهجات أهل كردفان. وإذا ألقينا نظرة على بيت لبيد وإنشاد الحَمَري لاستنبطنا أنَّ الأخير لم يلتزم ما هو معهود بإدخاله (ها) التنبيه على المفرد. وذكر الرمانيّ وابن يعيش بأنّها تدخل على أسماء الإشارة والضمائر.

ومن صيغ التنبيه ما يفيد التّألم والحزن والتَّحسر، ويصطلح عليها النحاة بصيغ النُّدبة والاستغاثة. والشائع منها عند الحَمَر (وا خرابي)، وواضح لدينا إغفالها للاصقة الخلفيّة وهي الفتحة الطويلة المنتهية بهاء السكت وتلحق آخر الاسم المتفجّع عليه أو المتوجَّع منه. ووجود الحركة الطويلة في الصيغة وفي اللاصقة معاً، كأنْ يقول الحَمَري (وا خراباه) يعطي المتكلِّم قدراً كبيراً من الحرية في رفع صوته في موضعين من التركيب اللّغويّ بحيث ينقل مشاعره إلى أكبر عدد من الحاضرين.

ومن صيغ التنبيه أيضاً ما يفيد الطالب للشئ والدعوة له، ويصطلح عليها النحاة بصيغ النداء. والسائد منها في اللّهجات السُّودانيّة عامة هي (الباء).

إنَّ الإنسان إذا شاهد أمراً باعثاً للدَّهش وانفعال النفس به واستعظامها إياه لخفاء سره عليها، أو قلة وجود نظير له، فإنَّه بالتأكيد يعبر عن استغرابه لهذا الأمر المثير بعبارات يسميها اللّغويون (خالفِة التعجب). إذن فالتّعجب هو شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمراً نادر الحدوث أو خفي السَّبب.

والتعجب له أساليب كثيرة، ويمكن على سبيل الاختصار أنْ نحصرها في نوعين: أولهما مطلق أي لا تحديد له ولا ضابط، وإنّما يُترك لمقدرة المتكلِّم ومنزلته البلاغيّة ويُفهم بالقرينة، ومن أمثلته قول العرب: لله درك![1]. وعند حدوث خطب جلل أو أمر يسترعي الانتباه يُظهر الناس دهشتهم في بيئات الحَمَر وكردفان بعبارات عرفها العرب من سالف العصور، وسمعت ترددها أيضاً في تهامة وأقصى جنوب الحجاز، ومن تلك العبارات: عَجبْ "مصدر" وعجيب، وقد وردت في قول الشاعر:

أقاطنٌ قومُ سَلْمى أم نَوَوْا ظعنا؟ إنْ يظعنوا فعَجيبٌ عيش من قَطَنا![2]

---

[1] شرح ابن عقيل، مرجع سابق، ١٤٨/٣.

[2] النحو الوافي، مرجع سابق، ٣٤٠/٣.

ومن صور التعجب التي اصطبغت بعبارات دينية يلوذ بها المتكلم حينما يعنُّ له أمر يدعو للاستغراب: (سبحان الله! ... لا إله إلا الله! ...الخ)، ويضيف اليها الحَمَر وأهل السّودان عبارات أخرى نحو: (ها زول! ... بالله عليك) وهلم جرا.

وللتعجب الاصطلاحي أي القياسي صيغتان شائعتان هما: "ما أفعله" و"أَفْعِل به"، وهناك صيغة وهي "فَعُلَ" –بضم العين– وهو فعل لازم[1]، نحو قوله تعالى: **(كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا)**[2]. وأضاف الزمخشريّ أيضاً أنَّ هذه الآية فيها معنى التعجب، و(كلمة) ترد بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنَّصب أقوى وأبلغ[3]، وتُعدُّ هذه الصيغة قياسية[4]. والحَمَر يستخدمون في كلامهم الصيغة القياسية "ما أفعله" فيقال مثلاً للشخص الذي يتهيب التّجوال مع الشاء لترعى في العراء في الحندس الدامس: (ما خوفك)، وأحياناً ينطقونها (مخوفك) فاستخدموا (ما) التعجبية التي يجمع أغلب النحاة بأنها نكرة تامة بمعنى شئ والماضي بعدها جامد (لا يدل على الزمن لأنَّ الجملة التعجبية متجردة لمحض الإنشاء المقصود منه التعجب). ونلاحظ أنَّ ألف الإطلاق وهمزة فعل التعجب حذفتا للتخفيف في قولهم (مخوفك).

ولخالفة المدح والذم أساليب كثيرة في اللّغة العربيّة، بعضها يؤدي هذه الدلالة صريحة لأنَّه وُضع لها من أول الأمر نصاً، وبعضها لا يؤديه إلا بقرينة، فمن الأول قولنا: أمدح – استحسن، أذم – استقبح، وكذلك ما اشتق نحو: الرائع – الحقود، أو الأسماء الجامدة التي تؤدي المعنى المراد.

ويماثل ذلك في لهجة الحَمَر قولهم: (فلان وطاه) كناية عن الصبر وقوة التجلد وهم يعنون بذلك (اللطاة) أي الأرض إذ تظل ثابتة لا تحرك ساكناً.

ومن الأساليب التي تحتاج إلى قرينة جملة: (ما هذا بشرا)، إذ تفسر على سبيل الاستحسان بأنَّه (مَلَك)، وعلى سبيل الاستقباح بأنَّه شيطان. وكم سمعنا من الحَمَر وسواهم من بعض الأبّالة عبارة (دي ما زول) وهي تؤدي المعنى الذي أشرت إليه سابقاً.

---

[1] شرح ابن عقيل، ج٣، ص١٤٧.

[2] سورة الكهف، الآية (٥).

[3] الكشّاف، ج٢، ص٤٧٢.

[4] النحو الوافي، ج٣، ص٣٤١.

أمّا صيغ المدح القياسية (نعم– وبئس– وحبذا) فهي قد اندثرت في هذه اللّهجة. ومن الصِّيغ السّماعية للذم عند الحَمَر عبارة (يا خرابك) وتصدر منهم أحياناً عند النّدبة والاستغاثة. ولفظة (حاشا) تستعمل عندهم وعند كثير من ناطقي العربيّة في السّودان في المدح والإطراء، قالت الحَمَريّة في الفخر والثناء على أخيها[١]:

حاشاه الجري والفزيز[٢] يوم العجاج دَكَّنْ

وقت دموم أخوان أم خروص للتراب سَقَّنْ

فالشاعرة تنعتْ أخاها بالثّبات في حومة الوغى التي تخضّب صَحْصَحانها بالدماء القانية للكماة الذين انبرى كلٌ منهم يذبُّ عن ذماره، والشاهد في قول المنشدة كلمة (حاشاه). ولها وجوه عديدة في اللُّغة، ووردت في قوله تعالى: **(فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)**[٣]، أي معاذ الله. روى الأصمعي عن نافع أنَّه قرأ كما قرأ أبو عمرو بن العلا (قلن حاشا لله) بإثبات الألف وهو الأصل[٤].

أمَا (حاشَ لله) بغير تنوين فتكون مفعولاً مطلقاً ولكنه مضاف واللام بعده زائدة ولحقت لفظ الجلالة عوضاً عن الألف المحذوفة في (حاشا) ولفظ الجلالة مضاف إليه[٥]. وقرأ ابن مسعود وأُبي بغير اللام أي (حاش الله). وقرأ الحسن بإسكان الشين (حاشْ لله)، و(حاشا) تفيد معنى التنزيه في أسلوب الاستثناء[٦] وهذا ما عنته الحَمَريّة موافقة لما قاله الشاعر قديماً:

حاشا أبي الثوبان إنَّ به ضناً عن الملحاة والشتم[٧]

و(حاشا) حرف جر عند سيبويه[٨]، ويرى ابن يعيش والمبّرد والجرميّ والمازنيّ وأبو علي الفارسيّ أنَّها فعل[٩].

---

[١] مقابلة: الشاعرة/ رضيّه بت حمد – الأبيِّض، ٢٠٠٧/٩/٤م.

[٢] الفزيز: الهروف، وهي لغة الريف في سوريا.

[٣] سورة يوسف، الآية (٣١).

[٤] القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ج٥، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ص١٨١. والبناء، شهاب الدين البناء: إتحاف فضلاء البشر، دار الكتب العلمية (١٩٩٨م)، بيروت.

[٥] النحو الوافي، مرجع سابق، ٣٦٠/٢.

[٦] الجامع لأحكام القرآن، مرجع السابق، ٥ج، ص١٨١. معجم القراءات، مرجع سابق، ج٤، ص٢٤٧.

[٧] الكشّاف، مرجع سابق، ج٢، ص٣١٧.

[٨] كتاب سيبويه، ج١، مرجع سابق، ص٢٧٧. والتّبصرة والتّذكرة، ج١، ص٣٨٥.

[٩] شرح ابن عقيل، ج٢، مرجع سابق، ص٢٣٨..

وفي رأيي أنَّها وردت في بيت الحَمَريّة فعل ماضٍ جامد مبني على الفتح المقدر وفاعله ضمير مستتر وجوباً، وهاء الغائب ضمير في محل نصب مفعول به. غير أنَّ (حاشا) في بيت الشاعر العربي السابق، حرف جر شبيه بالزائد، لذا جُرَّ ما بعده بالياء نيابة عن الكسرة.

وقرأ بها منونة أبو السّمال (حاشاً لله)[١] أي جعلها مصدر وتعرب حينئذٍ مفعولاً مطلقاً منصوباً بفعل محذوف وجوباً تقديره (انزِّه) والجار والمجرور متعلقان بها[٢].

وقرأها الأعمش (حشا لله)[٣] بحذف الألف الأولى، و(الحشا) في اللّغة هو الجانب[٤]، ويرد كثيراً استعمال هذه الكلمة في لهجاتنا العاميّة، إذ تقول الأم لفلذة كبدها: (جنا الحشا) أي المزعة التي ربتْ في دفين أحشائها.

إنّ الحضارة تفرض حاجاتها اللّغويّة فتدفع باللغة إلى الاتساع والنمو حتى تفي بحاجات المجتمع، وبالمقابل فإنَّ بعض العوامل كالهجرات وتردي الحضارات تزوي باللّغة. ولهجة الحَمَر على مرّ الزمن واجهت ظروفاً تركت آثارها في كثير من أساليبها اللَغويّة، ومن ذلك أسلوب التوكيد. والتوكيد أسلوب لغويٌّ الغرض منه إبعاد الاحتمال وإزالته[٥]. والتوكيد في اللّغة العربيّة له أساليب متنوعة، منها ما يتحقق بإعادة اللّفظ المراد تأكيده أو مرادفه، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى:(**كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**)[٦].

ومنه قول الشاعر:

أخاك أخاك إنَّ من لا أخا له كساعٍ إلى الهيجاء بدون سلاح[٧]

ومما جاء في لهجة الحَمَر من هذا القبيل، قول الشاعر/ علي الصادق[٨]:

يا مطيرق الليمون

يا الغالي كَنِز شيبون

يا الغالي كَنِز شيبون

---

[١] الكشّاف، مرجع سابق، ج٢، ٣١٦. ومعجم القراءات، مرجع سابق، ج٤، ص٢٤٧.

[٢] النحو الوافي، مرجع سابق، ج٢، ص٣٦٠.

[٣] الكشّاف، مرجع سابق، ج٢، ٣١٦. ومعجم القراءات، مرجع سابق، ج٤، ص٢٤٢.

[٤] المرجع السابق، ج٢، ص٣١٦-٣١٧.

[٥] شرح ابن عقيل، مرجع سابق، ج٣، ص٣٠٧.

[٦] سورة الفجر، الآية (٢١، ٢٢).

[٧] محمد محي الدين عبد الحميد (١٩٦٦م):أوضح المسالك إلى شرح ألفية ابن مالك، ط٥، ج٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص١١٥.

[٨] مقابلة: علي الصادق، سوق أبو سرور، شرق النهود، ٢٠٠٧/١١/٨م.

عاجبني فيك اللون

برقاً شَلَعْ[١] في عيون

والطّرق في اللّغة هو الضرب[٢]، والمُطرق هو فرع رفيع تطرق به الدّابة استحثاثاً لها على الجد في الانطلاق، وقد شبّه الشاعر تلك الفتاة بالغصن الغضّ واختار صيغة التصغير للمبالغة في الوصف، وشبّه اصفرار لونها بالعسجد الصقيل الذي جُلب من منطقة شيبون.

ومن ضروب التوكيد ما يتعلق بتكرار مضمون المعنى، واصطلح عليه في البحث النحويّ بالتوكيد المعنوي، ومن ألفاظه "النفس والعين[٣]، وهما بمعنى "الذات"، إلا أنهما لا تستخدمان في لهجة الحَمَر إذ يستعاض فيهما بلفظ "ذات"، نحو: لقيت إبراهيم ذاتو في السوق. ويستعملون أيضاً (كل) للجمع بنوعيه، ويغفلون بقية الصَّيغ مثل: أجمع وأكتع وأبضع وعامة. ومن أَضْرُب التوكيد عند الحَمَر أسلوب القصر الذي يتضمن صيغتي النفي والاستثناء، نحو قولهم: ما يرمي إلا "الكضب"، وما ينجي إلا الصدق، ويمثل القرآن ذلك في كثير من آياته، إذ يقول الله تعالى: **(مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)**[٤]. ويلجأ الحَمَر لاستخدام أساليب لغويّة لاشتقاق أفعال مؤكدة لنفسها، نحو قولهم: السحاب زرقن، أي اكتسى باللّون الأزرق القاتم الذي يضرب للسّواد، ولديهم (خلقن) بمعنى تشوه طبعه أو هيئته، (رعرش) بمعنى جَبُن وخار. وهذا موافق لما جرى عند العرب إذ تطرد لديهم زيادة بعض الحروف إشارة إلى زيادة المعنى في الأفعال، مثل قدر واقتدر، قال الله تعالى: **(كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ)**[٥]، فمقتدر هنا أوفق من قادر في تضخيم الأمر وتهويله[٦]. وذكر ابن فارس زيادة النون والميم في آخر المصدر للغرض نفسه نحو (رعشن) للرعديد الذي يرتعش، و(زرقم) للشديد الزّرقة.

---

[١] شَلَعْ في العامية بمعنى أضاء.

[٢] القاموس المحيط، مرجع سابق، ج٣، ص٢٥٦. مادة "طرق".

[٣] شرح ابن عقيل، مرجع سابق، ج٣، ص٢٠٧.

[٤] سورة ق، الآية (١٨).

[٥] سورة القمر، الآية (٤٢).

[٦] الخصائص، ج٣، ص٢٦٤-٢٦٥.

المبحث الثاني: الخوالف.

أطلق اللّغويون المحدثون على الكلمات التي تُستعمل في أساليب إفصاحية اسم (الخوالف). ويرى الدكتور تمّام حسّان بأنها من حيث استعمالها قريبة الشَّبه بما يسمونه في اللّغة الإنجليزية (Exclamation)[١]، وهذه الكلمات ذات أربعة أنواع، وسأتناول بالشرح والتحليل ما تشمله لهجة الحَمَر منها، والقسط المشترك في معاني هذه الخوالف طبيعة الإفصاح الذاتي عما تجيش به النَّفس، فكان يدخل في الأسلوب الإنشائي بل يحسن في الكتابة أنْ نضع بعدها علامة التأثر، والأدل على ما ذكرته أنَّ مَنْ علا صوته بالصُّراخ "أوه" يسرع الناس لنجدته، ومن قال: "أتوجع" يصبح قوله يتأرجح بين التّصديق والتّكذيب. لذا كانت خالفة الإخالة –ويسميها النحاة اسم الفعل– في صدارة هذه المجموعة. ويقول عنها ابن مالك:

ما ناب عن فعلٍ كشتّان وَصَه هُوَ اسمُ فعلً، وكذا أوّه ومَهْ

وما بمعنى افعل كـ (آمين) كَثُره وغيرُهُ كـ (وَيْ)، وهيهات نَزَر

وأسماء الأفعال ألفاظ يدل الواحد منها على "فعل" معيّن– أي محدود بزمنه ومعناه وعمله، لكن لا يقبل العلامة التي يقبلها هذا الفعل المعيّن والتي تبيّن نوعه– واسم الفعل أقوى من الفعل الذي بمعناه في أداء المعنى، وأقدر على إبرازه كاملاً مع المبالغة فيه. ومزيّة أخرى أنَّ اسم الفعل يُؤَدَّى على الوجه المراد مع إيجاز اللَّفظ واختصاره لالتزامه –في الأغلب– صورة واحدة لا تتغير بتغير المفرد أو المثنّى أو الجمع أو التّذكير أو التّأنيث إلا ما كان منه متصلاً بعلامة تدل على نوع معيّن دون غيره مثل (رويدك)[٢].

وتنقسم أسماء الأفعال –بحسب أصالتها في الدّلالة على الفعل وعدم أصالتها– إلى قسمين:

أولهما المرتجل: وهو ما وضع في أول أمره اسم فعل ولم يُستعمل في غيره من قبل، مثل: شتّان (بمعنى بعُد)[٣].

وثانيهما المنقول: وهو الذي وضع في أول الأمر لمعنى ثمَّ انتقل منه إلى اسم الفعل.

ومن النوع الأول المرتجل في كلام الحَمَر، وكثير من أهل كردفان: (سَهْ) وهي اسم فعل أمر بمعنى اسكت[٤].

---

[١] حسان، د. تمام حسان (١٩٩٤م): اللّغة العربيّة مبناها ومعناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ص١١٣.

[٢] النحو الوافي، ج٤، مرجع سابق، ص١٤١–١٤٢–١٤٣.

[٣] المرجع السابق نفسه.

[٤] النحو الوافي، ج١، مرجع سابق، ص٦٤.

وهو يلزم صورة واحدة، وفاعله ضمير مستتر دائماً حسب حالة كل مخاطب، وإذا كانت ساكنة دلت على السكون عن الموضوع المعين الذي يطرقه المتكلم، وإذا نونت– أي صارت صهٍ– يطلب بها الكفّ عن أي حديث. ومن الكلمات السائدة في لهجة الحَمَر والعاميّات السودانيّة (تَعَالْ) ونطقها الصائب (تَعَالَ) أي بالبناء على الفتح، وهي تشبه اسم فعل الأمر بمعنى أقبل والصحيح أنها فعل أمر لقبولها علامته إذ تقول العرب: (تعالَيْ يا فتاة). وكذلك كلمة (عفو) أو (أفو) تُقال تعبيراً عن الدهشة والحيرة والتحَسر. وجُلّ الحَمَر ينطقون الهمزة عيناً أي (عفو) فأبدلوها كما أبدلوا الهمزة في سأل فقالوا (سعل) كأهل جنوب الأردنّ تماماً. والمقطع النطقي للكلمة يوافق لفظ (aw) في كلمة (jaw) الإنجليزية.

وأصل الكلمة في رأيي (أفٍ) بمعنى أتضجر، وقد وردت في الذكر الحكيم في التَأدب عند خطاب الوالدين، في قوله تعالى: **(فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)**[١]، وفاعل اسم الفعل هنا ضمير مستتر وجوباً.

وكثير من الحَمَر يقولون (يامين) في اسم فعل الأمر (آمين) بمعنى "استجب"، أي بقلب الهمزة الأولى ياء. ومن المعلوم أنَّ جميع أسماء الأفعال مبنية، لا محل لها من الإعراب وأنَّ اسم الفعل مع فاعله بمنزلة الجملة الفعلية، فلها كل الأحكام الإعرابيّة التي تختص بالجملة الفعلية[٢]. ومما يرد على ألسنة الحَمَر اسم الفعل (عليك) وهو منقول عن الجار والمجرور[٣]. ويأتي اسم فعل أمر مبني بمعنى: تمسّك أو الزَم، وكثيراً ما يردد الحَمَر بعد أن ينفض مجلس الصلح بين الخصوم (عليكم يا جماعة بكلام الأجاويد). ومما يماثل هذا المنقول من الجار في القرآن الكريم قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)**[٤]، أي الزموا شأن أنفسكم. ومثله أيضاً قول القطاميّ:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إنَّ التّخلُّقَ يأتي دونه الخُلقُ[٥]

ومن الإخالة المنقولة عن الظّرف قولهم (وراك) وهي لا يراد بها الاستفهام، وإنما تعني تأخّر أو

---

[١] سورة الإسراء، الآية (٢٣).

[٢] النحو الوافي، ج٤، مرجع سابق، ص١٥٣–١٥٩.

[٣] المرجع نسه، ص١٤٧.

[٤] سورة المائدة، الآية ١٠٥.

[٥] النحو الوافي، ج٤، مرجع سابق، ص١٤٨.

تراجع لتجد ما تروم أخذه. ومنها (بكانك) وهي لغة مازن أي مكانك بمعنى (أثبت)[١]. أمّا اسم الفعل المنقول من الظرف، نحو قولهم: (قِدّام) أي (قدامك) بمعنى تقدّم، وغالباً يُقال للضيف – عندما يعلو صوته بنداء أهل الدار– (البِسَلِّم قِدّام). وأيضاً (عندك) اسم فعل أمر بمعنى (خذ)، ويتعدى إلى مفعول واحد مثل: (عليك الصَّدق)، ومثلها في اللُّغة (دونك عَمْراً)[٢]، ومن المعتاد أنْ يقول الحَمَري في تلك البيئة الرّعويّة لرفيقه: (عندك الدلو، أسقِ البهايم) أي خذ الدلو، وفي اسم الفعل هذا ضميران: أحدهما مستتر في محل رفع فاعل، والآخر المميز البارز في محل جر بالإضافة، وهذا النوع من اسم الفعل لا يُستعمل إلا لأمر المخاطب.

أمّا خالفة الصّوت فقد عبّر عنها ابن مالك بقوله:

وما به خوطب ما لا يَعْقل من مُشبه اسم الفعل صوتاً يُجعل

كذا الذي حكاية كـ (قَبْ) لزم بنا النوعين فهو قد وجب[٣]

وخالفة الإخالة هذه يسميها النحاة (اسم الصوت) ولا يقوم دليل على اسميتها من حيث المبنى ولا من حيث المعنى، فهي لا تقبل علامات الأسماء، وذلك نحو (هلاّ) لزجر الخيل وأصوات دعوة الحيوان الأعجم، إمّا لزجره وتخويفه لينصرف عن شئ وإمّا لأداء عمل[٤].

واسم الصوت العربي لزجر الغنم شائع نطقه لدى الحَمَر ومتكلمي العاميّة العربيّة بالسّودان إذ يقولون (هَسْ)، ويوافقونهم في زجر القط بلفظ (بِس). والعرب تقول أيضاً (هَجْ و هَيْح) لزجر الأغنام والإبل، بيد أنَّ الحَمَر وكثير من أهل السَودان يزجرون الإبل وحدها بكلمة (هَجْ). والحَمَر وأهل كردفان يقولون في زجر المعيز (عاج وعاه، وأحياناً بالإمالة عيه)[٥] كبداة الجزيرة العربيّة تماماً[٦]. قال الشاعر:

يا عنزُ هذا شجرٌ وماءُ عَاعَيتُ لو ينفعني العَيْعَاء

والعرب تقول أيضاً (عاه وعيه)[٧] لزجر الإبل، لكن هؤلاء القوم لا يلتزمون الصَّيغ الصوتيّة المعهودة لدى العرب لحث الحُمُر والأُتُن على الشُّرب ومنها (دَجْ)[٨]، بل يستخدمون هذه الكلمة

---

[١] جواد، د. جواد علي (١٩٧٨م): المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت.

[٢] التّبصرة والتّذكرة، ج١، مرجع سابق، ص٢٤٩.

[٣] شرح ابن عقيل، مرجع سابق، ج٣، ص٣٠٦.

[٤] المرجع نفسه، ص٣٠٢.

[٥] النحو الوافي، ج٤، مرجع سابق، ص١٦٢. أوضح المسالك، ج٣، مرجع سابق، ص١٢٢

[٦] المرجع السابق، ص١٢٢.

[٧] اللّغة العربيّة مبناها ومعناها، مرجع سابق، ص١١٤.

لزجر الثيران كي تنأى عن المكان أو تتجه حيث يريدون. ومن المعهود في كلام العرب أنْ يقال في زجر الحُمُر (حَرَّ وعَدّ)[١]، ولكن الحَمَر وغيرهم من قُطان السّودان نحتوا منهما لفظ (عَرْ). ومن أسماء الأصوات العربيّة السائدة لديهم (إخ) لزجر البعير كي يبرك، و(كِخْ) لحث الطفل كي يُخرج من فِيه شيئاً يُخشى أنْ يلحق به الأذى إذا ابتلعه[٢]. وفي بيئات كردفان استعاروا حكاية صوت السيف لتعبر عن الصوت الذي يصدر من وقع الفأس على الأشجار، ومن المعتاد أن يُعبِّر الحَمَري قائلاً: (سِمِعتْ لِيَّا كَبْر في الشَّدَرْ قَبْ ... قَبْ)، مع ملاحظة أنَّ القاف هنا ينطقونها تميمية. والحَمَر والأبالة يقولون في دعاء الإبل لتشرب (جِئْ .. جِئْ) مهموزين[٣]، كما تقول العرب ولذا سُميّ الشراب في اللّغة العربيّة (جيئاً).

وخلاصة القول أنَّ أسماء الأصوات ألفاظ استعملت كأسماء الأفعال في الاكتفاء بها، دالة على خطاب ما لا يُعقِل، أو على حكاية صوت من الأصوات، وأسماء الأفعال وأسماء الأصوات كلها مبنية لشبهها بالحروف في النيابة عن الفعل وعدم التأثر[٤].

وخلاصة القول إنّي قصدت في هذا البحث انتقاء أبرز الخوالف في لغة الحَمَر واستجلاء ما تحويه من دلالات ومعانٍ كي تتضح لنا سمات هذه اللّهجة العربيّة.

---

[٨] النحو الوافي، ج٤، مرجع سابق، ص١٦٣.

[١] اللّغة العربيّة مبناها ومعناها، مرجع سابق، ص١١٤.

[٢] النحو الوافي، ج٤، مرجع سابق، ص١٦٢.

[٣] أوضح المسالك، ج٣، مرجع سابق، ص١٢٢. الصحاح: للجوهري، مادة (جأ جأ)

[٤] شرح ابن عقيل، ج٣، مرجع سابق، ص٣٠٦-٣٠٧.

obeikandl.com

المبحث الثالث: بعض الظروف.

الظروف بأنواعها تضفي معانٍ عديدة على محتوى الجملة، وقد أشار إليها ابن مالك بقوله:

الظّرف وَقْتٌ أو مكانٌ ضُمِّنا "في" بالمراد "كهُنَا" "أمكث أزمنا"[١]

ومن ظروف المكان المختلفة الشائعة عند الحَمَر (هان) بمعنى هنا. وهذه لهجة أهل الأردنّ سواء في الأغوار أو السهول، وألفيتها أيضاً في لهجة قُطّان فلسطين، وقد عاشرت أولئك القوم زمناً مديداً أثناء اغترابي خارج الوطن. بيد أنَّ الحَمَر يستخدمون كلمة (هِني) للدلالة على المكان الوسيط أو البعيد، ويطابق المقطع الأخير لهذه الكلمة، الفونيم الذي يؤلف المقطع الأول للكلمة الإنجليزية **(Navy)** (وتعني الأسطول)، وتطابق (هِني) في معناها أيضاً الظرف (هناك) والكاف للخطاب وهنا اسم إشارة غير منصرف مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية[٢]، ولا يخرج عنها إلا إلى نوع خاص من شبه الظّرفية هو الجر بالحرف (من) أو(إلى) نحو: سرت من هنا إلى هناك[٣]. ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ نطق الحَمَر للظرف (هِني) على تلك الشاكلة يطابق لهجة صعيد مصر ويُعد تطوراً تاريخياً اختصت به كلتا اللّهجتين.

ويستخدم الحَمَر وكثير من ناطقي العربيّة بالسُّودان كلمتي (ضحوة وعشية)، والضّحوة تحديداً تعني لديهم مزاولة العمل في الحقل منذ البكور إلى ارتفاع الشمس في كبد السماء، ويقول صاحب الصِّحاح: (ضَحْوَة النّهار بعد طلوع الشمس، ثم بعده الضُحَىٰ، وهي حين تشرق الشمس، مقصورة تؤنّث وتُذكَّر، ومن ذَكَّر ذهب إلى أنّه اسم على فُعَلٍ، مثل صُرَدٍ[٤] وثُغَرٍ[٥]، وهي ظرفُ غير متمكن مثل سَحَرٍ، تقول: لقيته ضُحاً وضُحَا، إذا أردت به ضُحَا يومك لم تنونه، ثم بعده الضَحَاء ممدود مُذَكَّر، وهو عند ارتفاع النّهار إلى أعلا. أه)[٦].

ومما يجدر ذكره أنَّ كلمة (ضَحوة) تمنع من الصّرف إذا استعملت ظرفاً أو غير ظرف بسبب العلمية الجنسية والتأنيث اللّفظي[٧]. وإذا فقدت العلمية لم تمنع من الصّرف لأنَّها فقدت تعيين

---

[١] شرح ابن عقيل، ج٢، مرجع سابق، ص١٩١.

[٢] المرجع نفسه، ج١، ص١٣٦.

[٣] النحو الوافي، ج١، مرجع سابق، ص٣٢٨.

[٤] صُرَد: طائر يقال لها الواق. الهادي إلى لغة العرب، مرجع سابق، مادة (صرد)، ٢٤/٣.

[٥] ثُغر: دفع الدم من انفجار العرق، المرجع السابق، مادة (ثغر)، ٢٤/٣.

[٦] الصحاح: للجوهري، ج٦، مرجع سابق، ص٢٤٠٦. مادة "ضحا".

[٧] النحو الوافي، ج٢، ص٢٦٠.

الزمن وتحديده وصارت دالة على مجرد الوقت المحض الخالي من التَخصيص مثل: يسرني القدوم في ضحوة[١].

ولهجة الحَمَر كغيرها من اللّهجات العاميّة العربيّة إذ لا تخلو من الظرف (بينَ)، سواء كان ظرفاً مؤسساً[٢] –أي يفيد مكاناً أو زماناً جديداً لا يفهم من عامله– نحو صفا الجو اليوم فقضيته بينَ دوح وادٍ أغن، أو كان ظرفاً مركباً تركيب مزج كقول الحَمَر: (الحصاد بينْ بينْ) بمعنى التوسط بين شيئين وهو حينئذٍ يخرج من النصب على الظرفية[٣]، وصواب القول أن يبنى على فتح الجزأين وفقاً للقاعدة النحويّة المعهودة[٤]، وإذا فقد الظرف (بينَ) التركيب، جاز أنْ يكون معرباً متصّرفاً[٥]

ومنه قوله تعالى: **(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا)**[٦].

ويشيع في أساليب الحَمَر اللَغوية استخدام الظرف المكانيّ المختص الذي يكون مسبوقاً بعامله، نحو قولهم: (مشيت النّهود)، والنّهود مدينة عريقة، وهي حاضرة الحَمَر ومتسوقهم، وتقع في وهدِ رحيبٍ مخضر ويجثم شرقيها –على مسافة– طودان منيفان متوازيان عن قرب كنهديّ كاعب حسناء، فالنّهود –في الجملة السابقة– تعرب ظرفاً مكانياً منصوباً قياساً –في رأيي– على قول العرب: (ذهبت الشامَ، وتوجهت مكةَ) فالشام ومكة ظرفان زمانيان على معنى (إلى)[٧].

وقد لا حظت استهجان بعض دارسي اللَغة لبعض الظروف التي ترد في كلام البداة من الحَمَر وغيرهم ظناً منهم بأنها من غثاء العاميّة، ومن هذه الظروف (قبيل) و(عاماً أول) فالظروف مثل (قبل وبعد) ظروف مبهمة لا يُفهم معناها إلا بالإضافة لغيرها[٨]، فيقال مثلاً: (قبل العصر)، وإذا قَرُب قيل: (قبيل العصر) بالتّصغير أي قريباً منه ويسمى هذا

---

[١] النحو الوافي، ج٢، ص٢٦٠.

[٢] المرجع نفسه، ص٢٥٧.

[٣] المرجع نفسه، ص٢٧١.

[٤] المرجع نفسه.

[٥] المرجع نفسه، ص٢٨٦.

[٦] سورة النساء، الآية (٣٥).

[٧] النحو الوافي، ج٢، ص٢٥٣.

[٨] المرجع نفسه، ص٢٨٣.

(تّصغير التَّقريب)[1]، ويرد في لهجة الحَمَر وعاميّة أهل السّودان مقطوعاً عن الإضافة ساكن الآخر، نحو: (جيتك قبيل) وينطق بإمالة صغرى.

أمّا كلمة (أول) فتجئُ اسماً مصروفاً، معناه ابتداء الشئُ[2] نحو: (هذا أول ما اكتسبته) وتكون وصفاً مؤولاً –أي أفعل تفضيل بمعنى "أسبق"– وتمنع من الصّرف[3]، نحو: لقيته عام أولَ من عامنا. ويقول صاحب الهَمْع يصح لقيته عاماً أولَ من عامنا، مضيفاً أنَّ من الأسماء ما هو معرفة معنيً نكرة لفظاً[4].

ويبدوا لنا من خلال البحث صواب كثير من التراكيب اللّغويَة التي تكنّها نُهى اولئك البداة وتلهج بها ألسنتهم.

obeikandl.com

---

[1] الهمع: للسيوطي، ج١، مطبعة السعادة، القاهرة، ص٢٠٩.. المصباح المنير، مرجع سابق، مادة (بعد).

[2] النحو الوافي، ج٢، ص٢٨٣.

[3] المرجع نفسه.

[4] الهمع، ج١، مرجع سابق، ص٥٤. النحو الوافي، ج٢، ص٢٨٥.